الرسالة

(عبرانيين ٧: ٢٦–٢٨؛ ٨: ١–٢)

يا إخوةُ إنَّنا يُلائمنا رئيسُ كهنةٍ مثلُ هذا بارٌّ بلا شرٍّ ولا دَنَسٍ مُتنَزِّهٌ عنِ الخطأةِ قد صارَ أعلى من السموات* لا حاجةَ لهُ أن يُقرِّبَ كلَّ يومٍ مثلَ رؤساءِ الكهنةِ ذبائحَ عن خطاياهُ أولاً ثمَّ عن خطايا الشعب. لأنَّه قضى هذا مرَّةً واحدةً حين قرَّبَ نفسَهُ* فإنَّ الناموسَ يُقيمُ أُناساً بهم الضُّعفُ رؤساءَ كهنةٍ. أمَّا كلِمةُ القَسَمِ التي بعدَ الناموسِ فتُقيمُ الإبنَ مكمَّلاً إلى الأبد* ورأسُ الكلام هو أنَّ لنا رئيسَ كهنةٍ مثلَ هذا قد جلسَ عن يمينِ عرشِ الجلالِ في السموات* وهو خادِمُ الأقداسِ والمسكنِ الحقيقيِّ الذي نصَبهُ الربُّ لا إنسانٌ.

الإنجيل

(لوقا ١٩: ١–١٠)

في ذلك الزمان فيما يسوعُ مجتازٌ في أريحا إذا

خلاص الخطأة

اليوم هو الأحد الذي يسبق فترة التريودي، ويُسمى أحد زكا العشار لأن الكنيسة المقدسة رتبت أن يُتلى في القداس الإلهي الإنجيل الذي يروي حادثة خلاص زكا.

فترة التريودي تحوي الآحاد المهيّئة للصوم إضافةً إلى أسابيع الصوم الكبير الخمسة والأسبوع العظيم. كل هذه المسيرة توصلنا نحن الخطأة الى المشاركة في قيامة الرب يسوع الذي منحنا الخلاص عبر انتصاره على الموت.

يقع أحد زكا مباشرةً قبل آحاد التهيئة للصوم، وبما أنه يحضّر لكل هذه الفترة المباركة فهو يُعتبر كمقدمة النص التي تهيّئنا لنعرف محتوى النص والمواضيع التي سيتناولها.

في قصة خلاص زكا نجد معظم معاني فترة التهيئة للصوم الكبير، إضافة الى الهدف من كل موسم التوبة. الأحد الأول من التهيئة للصوم يُعرف بأحد الفريسي والعشار ونتعلّم منه أهمية التواضع، هذا التواضع نجده عند زكا العشار الذي لم يمنعه مركزه الإجتماعي ولا قصر قامته من تسلّق جمّيزة ليعاين الرب يسوع. الأحد الثاني من التهيئة هو أحد الابن الشاطر الذي يظهر أهمية الرجوع الى الله بالتوبة، وهذا تماماً ما حصل مع زكا العشار الذي تاب إثر لقاء الرب، فاعترف بخطاياه التي أبعدته عن الله وتركها ليعود الى العيش كما يوصينا ربنا. الأحد الثالث هو أحد الدينونة، فيه نرى أن الله سيدينا بناءً على محبتنا لإخوتنا، وما فعله زكا هو أنه أعطى المساكين نصف أمواله، ولذلك سيقول الرب يسوع له ولأمثاله في اليوم الأخير: «ما فعلتموه بأحد إخوتي هؤلاء الأصاغر، فبي فعلتموه» (مت٢٥: ٤٠). أما الأحد الرابع الذي يسبق بداية الصوم فيُعرف بأحد الغفران وفيه نستغفر بعضنا من بعض، وما فعله زكا هو أنه طلب المغفرة من كل من أساء إليهم وعوّض عن أخطائه السابقة قائلاً: «وإن كنت قد غبنت أحداً في شيء أردُّ أربعة أضعاف» (لو ١٩: ٨). يبقى أنه في الأحد الرابع نقيم أيضاً تذكار نفي آدم من الفردوس. لقد خسر آدم بالمعصية فردوس الحياة مع الله، أما الرب يسوع المسيح فتجسّد ليعيد فتح الطريق الى الفردوس لكلّ من يقبلون عمله الخلاصي، وهذا ما حصل مع زكا العشار.

قال الرب لزكا العشار: «إنَّ ابنَ البشر إنما أتى ليطلب ويخلّص ما قد

العدد ٤/٢٠١٥

الأحد ٢٥ كانون الثاني

تذكار أبينا الجليل في القديسين

غريغوريوس اللاهوتي

اللحن الثامن

إنجيل السَحَر الحادي عشر

هلك» (لو ١٩: ١٠). بهذه الكلمات اختصر الربُّ يسوع غاية تجسّده، ألا وهي خلاص الخطأة. نحن كلنا خطأة كما يقول بولس الرسول: «الجميع أخطأوا وأعوزهم مجد الله» (رو٣: ٢٣). إن كنا قد أخطأنا في أمور كثيرة وارتكبنا معاصيَ متنوّعة، فلنعلم أن الله قد جاء من أجل الخطأة ولنلتمسه على الرغم من قصر قامتِنا كما فعل زكا. مَن منّا لم يسبق له أن اختبر لحظات الإحراج والخجل عندما أدرك أنّه ارتكب معصيةً ما؟ إذاك تكون ردّة فعله الأولى أن يحاول الاختباء مثل آدم وحواء بعدما أكلا من شجرة معرفة الخير والشر. نختبئ من الله ومن الآخرين لأننا لا نحبّ أن يرانا أحدٌ على حقيقتنا. نخاف من أن نعترف بأننا لسنا كاملين، لهذا السبب نميل إلى نكران مسؤوليتنا وإلقاء اللوم على أكتاف الآخرين: آدم لام حواء والله، وحواء لامت الحيّة.

إن الله سيسأل كلًّا منا: «أين أنت؟» (تكوين ٣: ٩)، فإن لم نكن مختبئين وكنا نسعى لنراه، فهو سينظر إلينا كما نظر إلى زكا الذي كان فوق الشجرة طالباً رؤية يسوع. والخطوة الأولى التي يتوجّب علينا القيام بها هي عدم الخوف من اللجوء إلى الإله الرحيم ومن الاعتراف بأننا خطأة. كثيرون يتعاطون مع الله كمن يخشى لقاء الطبيب لئلا يكتشف أن لديه مرضاً لا يعرف بعد أنه موجود. إن تشخيص المرض هو الخطوة الأولى الضرورية للشفاء، والخطوة الثانية هي اقتبال العلاج المناسب. أحياناً لا نحب أن نلتقي بالطبيب الإلهي لأننا نخاف من أن يكشف عوراتنا وأمراضنا الروحية، أو لأننا نرفض أن نخضع للعلاج المناسب لهذه الأمراض.

معظم الأوقات نحتاج إلى شخص يفتح أعيننا مثلما فعل ناثان النبي مع داود حين أظهر له فداحة خطيئته التي لم تخفَ عن الله ولو لم يعرف بها أيّ إنسان آخر. ليس من السهل أن تواجهَ شخصاً يستطيع أن يكشف كلَّ ما تحاول أن تخفيه. هذا قد يكون أحدَ الأسباب التي تجعل الكثير من الناس يرون في الله نوعاً من عدوّ علينا تجنّبه. الله ليس عدوّنا، بل نحن نعاديه بالمعصية. وبالرّغم من ذلك، لا يعاملنا الله كأعداء، بل كأولاده الأحبّاء.

لا يخشى الرب يسوع من التواصل مع الخطأة، بل على العكس يجلس في بيوتهم ويتناول الطعام معهم كما يظهر في اللقاء مع زكّا. هو سيفعل الأمر نفسه معنا، فما علينا سوى أن نمتلك الجوع والعطش ذاتهما لرؤية يسوع كما فعل زكّا، والرب يتكفّل بالباقي: سينتبه إلينا ويدعونا إلى عدم الاختباء، سيدخل معنا إلى بيتنا، سيشاركنا الطعام برفقة الآخرين المحتاجين أيضاً إلى الشفاء. لقد غيّر زكّا حياته، أصلح الخطأ الذي قام به، وشارك مقتنياته مع الفقراء. هكذا أحسن زكا استخدام ما كان سبباً للهلاك، وجعله سبباً للخلاص.

اليوم يقول الرب لكل منا، لا تخَف يا بُنَي، لا تختبئ مني. أنا أعرف كلّ أفعالِك، كل أقوالك وكلّ أفكارك، لا بل أعرفكَ أكثر مما تعرف نفسك. خطاياك كلّها لن أذكرها إن التجأتَ إليّ بإيمان واثقاً برحمتي ومستعداً للتوبة. فلنتوجه إليه بتوبة صادقة، هاتفين مع كاتب المزامير داود النبي: «باركي يا نفسي الرب ولا تنسي كلّ حسناته، الذي يغفر جميع ذنوبك، الذي يشفي كلّ أمراضك» (مز ١٠٣: ٢–٣).

صلاة السحر

+ من خلال أقوال الآباء:

يقول القديس كبريانوس بـرجُـلٍ اسمُـهُ زكّـا كـان رئـيسـاً عـلـى العـشّـارين وكان غنيًّا* وكان يلتمِسُ أن يرى يسوعَ مَن هو فلم يكن يستطيعُ من الجمع لأنَّه كان قصيَر القامة* فتقدَّم مسرِعاً وصَعِدَ إلى جمَّيزةٍ ليَنظُرَهُ لأنَّه كان مُزمِعاً أن يجتازَ بها* فلمَّا انتهى يسوعُ إلى الموضع رفع طَرْفَهُ فرآهُ فقال لهُ يا زكّا أسرِعِ انزِلْ فاليومَ ينبغي لي أن أمكُثَ في بيتك* فأسرعَ ونَزَلَ وقبِلهُ فرحاً* فلمَّا رأى الجميعُ ذلك تذمَّروا قائلين إنَّه دخل ليحُلَّ عند رجلٍ خاطئ* فوقف زكّا وقال ليسوعَ هأنذا يا ربُّ أُعطي المساكينَ نِصْفَ أموالي. وإن كنتُ قد غبَنْتُ أحداً في شيءٍ أَرُدُّ أربعةَ أضعافٍ* فقال لهُ يسوعُ اليومَ قد حصلَ الخلاصُ لهذا البيتِ لأنَّهُ هو أيضاً ابنُ إبرهيم* لأنَّ ابنَ البشرِ إنَّما أتى ليَطلُبَ ويُخلِّصَ ما قد هلك.

تأمل

«فيما يسوعُ مجتازٌ في أريحا إذا برجلٍ اسمُه زكّا كان رئيساً على العشّارين وكان غنيًّا. وكان يلتمس أن يرى يسوعَ مَن هو» (لوقا ١٩: ١–٣).

انتبه أيها الأخ الحبيب إلى شوق نفسه. لم يستطع أن يراه بسبب الجمع لأنه

كان قصير القامة. يركض إلى الأمام ويصعد على جمّيزة لكي يرى يسوع الذي كان مجتازاً من هناك. إن زكّا القصير القامة والكثير المعرفة كان يلتمس أن يرى المسيح. كان يشتهي أن يرى الله فيما بين البشر. أن يرى ذاك الذي وهب السموات، الذي أبدع الملائكة، أن يرى واهبَ النور الفائق السماوي يسير بخطى البشر.

كان يلتمس أن يرى كيف أن شمسَ العدل الجالس على السحاب قد أنار أعين قلب المؤمنين. يلتمس أن يرى يسوع الإله، الجميل المشتهى، الحلو، الذي يشير مجرّد اسمه إلى الفعل. أن يرى الخروف الموشح صوفه بالبرفير الأرجواني الذي بدمه افتدى المسكونة وبصوفه ألبس العراة من جيل آدم حتى النهاية. كان يشتهي أن يرى يسوع كما يشتهي الجندي الحبيس أن يرى ملكه وأن يرى الخروفُ راعيه، والضائعُ طريقه، والمظلمُ النور. الذي لم يذق بعدُ حلاوة المعرفة الإلهية (أي زكا) يشتهي أن يرى كاروزَ التقوى كما يشتهي أن يرى المريضُ صحتَه، والجائعُ غذاءه السماوي، والعطشانُ النبعَ الحامل الحياة. يشتهي أن يرى معطي الحياة للكهنة ومقيم لعازر.

يا له من عشق إلهي! يا القرطاجي (+ ٢٥٨) في مصنّفه «في الصلاة الربانية» (فصل ٣٤-٣٦): «بالنسبة لنا، يا أحبة، فقد أضيفت أوقات للصلوات والأسرار إلى جانب ساعات الصلوات المحفوظة لدينا منذ القديم ... على المرء أن يصلّي في الصباح احتفالاً بقيامة الرب. هذا ما قصده الروح القدس على لسان صاحب المزامير: «إلهي إليك أصلّي. يا رب بالغداة (الصباح الباكر) تستمع صوتي بالغداة أوجه صلاتي نحوك وأنتظر» (مز ٥: ٢- ٣). كما أن الرب يقول على لسان نبيّه هوشع: يُبكّرون إليّ قائلين: هلمَّ نرجع إلى الرب (هو ٥: ١٥- ٦: ١)».

القديس هيبوليتس الرومي (ق ٣) يتحدث في كتابه «التقليد الرسولي» (حوالى العام ٢١٥) عن معنى الصلوات (الفصل ٣٥) فيقول عن صلاة السحر: «حالما يستيقظ المؤمنون، رجالاً ونساءً، عليهم قبل القيام بأي عمل أن يغسلوا أيديهم ويصلّوا إلى الله، ثم يتوجهون إلى أعمالهم. ولكن إذا كان هناك تعليم في الكنيسة فليفضّله المؤمنون على أي شيء آخر مقدّرين في ضمائرهم أنهم يستمعون إلى الله يتحدث إليهم على لسان مَنْ يلقي عليهم التعليم، لأنهم باشتراكهم في الصلاة يهيئون أنفسهم للنجاة من الشرير (شرور النهار)».

بالنسبة إلى القديس باسيليوس الكبير (القرن ٤) فإن «صلاة السحر تكرّس أولى حركات النفس والجسد للرب. قبل أن ننهمك بأمور الحياة، نفرح فرحاً بالرب حسب قول الكتاب الإلهي: يا الله إلهي أنت إليك أبكّر. عطشت إليك نفسي. يشتاق إليك جسدي في أرض ناشفة ويابسة بلا ماء... باسمك أرفع يدي. كما من شحم ودسم تشبع نفسي وبشفتي الابتهاج يسبّحك فمي. إذا ذكرتك على فراشي في السهد (السَحَر) ألهج بك لأنك كنت لي عوناً وبظل جناحيك أبتهج (مز ٦٣: ١- ٧). قبل أن نبدأ بأي عمل، علينا أن نقوم بما أوصى به كاتب المزامير: إليك أصلّي يا رب في الغداة تستمع صوتي. بالغداة أوجّه صلاتي نحوك وأنتظر (مز ٥: ٢- ٣)» (القانون ٢٧ من كتاب القوانين).

وفي تناغم مع القديس باسيليوس الكبير يكتب القديس يوحنا السلّمي (الذي عاش في الصحراء المصرية بين عامي ٣٨٠ و٣٩٩ وأتى بعدها إلى الأراضي المقدسة في فلسطين) عن الصلاة الصباحية: «يحرص الكثيرون ممن يعيشون في هذا العالم على ممارسة الصلاة الصباحية، إذ إنهم ينهضون قبل بزوغ النور، باكراً جداً، ولا يقومون بأي عمل متعلق بحياتهم اليومية في العالم قبل ذهابهم إلى الكنيسة وتكريسهم، أمام نظر الله، أولى ثمار أعمالهم وأفعالهم».

هذا ويشدد القديس يوحنا الذهبي الفم (القرن ٤) على أن المؤمن يشكر الله في صلاة السحر على الخيرات التي حصل عليها سابقاً والتي سوف يحصل عليها في المستقبل، في الدنيا والآخرة، طالباً حماية الله في النهار المقبل والغفران عند المجيء الثاني. لذا نراه يحث المؤمنين على أن يهتموا «في المجيء باكراً في الصباح (السَحَر) لتقديم الصلاة والسبح لإله الكل، ولشكره على كل الخيرات الحاصلين عليها، والطلب إليه أن يكون بقربنا لحمايتنا في المستقبل» (عظات المعمودية، VII : ١٧–١٨). وفي العظة ٣٨ عن إنجيل متى (الإصحاح ٣) يصف صلاة الصباح فيقول: «حالما تشرق الشمس، أو ربما قبل شروقها، وبعد نهوضهم من فراشهم يرنّمون بصوت واحد وفم واحد الترانيم لإله الكل مكرّمينه وشاكرين إياه على الخيرات العامة والخاصة. ما الفرق بين الملائكة وبين هذا الجمع على

الأرض وهم يرنّمون: المجد لله في العلى...؟ ثم، وبعد ترنيمهم هذه التسابيح يسجدون على ركبهم ويشكرون الله، محور ترانيمهم، على أمور قد يكون نيل بعضها صعباً. لأنهم لا يسألون أموراً آنية، كونهم لا يهتمون بها، بل يسألون أن يقفوا أمام منبره المرهوب (يوم الدينونة) بدالة، عندما يأتي ابن الله الوحيد ليدين الأحياء والأموات، ولكي لا يسمع أحد قوله: إني لا أعرفكم، ولكي بضمير نقي وبأعمال صالحة يجوزوا معترك الحياة، ولكي يبحروا في بحر الحياة الهائج برياح مؤاتية. والآب أبوهم وملكهم يقودهم في صلاتهم. وبعد الوقوف والانتهاء من الصلوات المقدسة، وقد أشرقت الشمس، يخرجون إلى العالم ويجمعون مؤونة لمساعدة المحتاجين».

أخيراً، يكتب القديس سمعان التسالونيكي (القرن ١٥) عن صلاة السحر وكأنه يلخص ما قاله الآباء قبله، فيقول إننا نصلّي في الصباح «لنسبّح النور في اليوم الطالع والماحي ظلمة الخطيئة والواهب نور التقوى. لهذا نجمع تسبيح الساعة الأولى مع السحر كأولى ثمار اليوم، مقدّمينها هبة وذبيحة تسبيح إلى الله الذي يُظهر نفسه عبر النور فينير كل خليقته. لذلك مع الملائكة ندعو لله بالتسابيح» (في الصلاة، فصل ٧).

القديس بايسيوس الآثوسي

أعلن المجمع المقدس للبطريركية المسكونية الأرثوذكسية في القسطنطينية بتاريخ ١٣ كانون الثاني ٢٠١٥ قداسة الشيخ بايسيوس الآثوسي الذي كان معاصراً لأبينا البار بورفيريوس الرائي.

وُلد القديس بايسيوس في فارسا، كبادوكيا، عام ١٩٢٤، وقد أعطاه القديس أرسانيوس اسمه لدى تعميده وتنبأ له بحياة رهبانية. انتقلت عائلته في العام نفسه إلى اليونان، إلى كونيتسا حيث ترعرع وتعلّم التجارة. نشأ على حياة الصلاة والصوم والجهاد الروحي إلى جانب قراءة الكتاب المقدس، وتاق إلى الحياة الرهبانية. لكن ظروف تأمين معيشة أهله واستدعائه للخدمة العسكرية حالت دون ذلك لغاية العام ١٩٥٣ حين انتقل إلى الجبل المقدس آثوس. نال الإسكيم الرهباني الصغير وسمّي بايسيوس في دير الفيلوثيو عام ١٩٥٤. ثم انتقل عام ١٩٦٢ إلى صحراء سيناء حيث نسك هناك نسكاً شديداً مما أثّر على صحته، فعاد بعدها إلى جبل آثوس ليسترشد لدى الأب تيخن في اسقيط «ايفيرون» ونال الإسكيم الكبير سنة ١٩٦٦. بعدها خضع لعملية جراحية في رئتيه، وفي فترة النقاهة أسس ديراً للراهبات في منطقة سوروتي قرب تسالونيك. عاد إلى الجبل وتابع جهاده الروحي لإعادة إحياء بعض الأديار روحياً وتنظيمها. خدم أباه الروحي تيخن بتفانٍ إلى حين وفاته عام ١٩٦٨.

تابع جهاده الروحي في الجبل المقدس وكان يقصده الكثيرون للإسترشاد الروحي. عام ١٩٩٣ حضر إلى دير السوروتي لحضور سهرانية عيد القديس أرسانيوس الكبادوكي وهناك توعكت صحته، لكنه بقي يهتم بأبنائه الروحيين رغم أوجاعه، إلى أن رقد بالرب في ١٢ تموز ١٩٩٤. فبشفاعته أللّهم ارحمنا وخلّصنا آمين.

لها من شهوة مباركة! يا له من عشق مجنّح بالذهب أو بالأحرى بالمسيح الذي يُصعد إلى السماء كل نفس تشتهيه. إن العشق الإلهي الذي رفعه عن الأرض دفعه ليصعد على الشجرة. لم يدعه يتطلّع بعد ذلك إلى أمور الأرض ولا أن يخالط البشر. إن المحبة الإلهية هي التي أدارت أنظاره إلى الخيرات السماوية. فهو يركض من الأرضيات إلى السماويات. فيرتفع على الشجرة ويشاهد المسيح من هناك وهو بالذهن جالس على السحب.

يا له من تصرّف يليق بالتلميذ الصالح!... يا لها من قوّة إلهية: إن رؤية يسوع وحدها قادته إلى الفعل... قال: «اني أعطي المساكين نصف أموالي وأردّ أربعة أضعاف على الذين وشيت بهم» (لو ١٩: ٨) يا له من اعتراف نقي يخرج من قلب نقي! يا له من اعتراف لا عيب فيه أمام مجد الله المنزّه عن العيب، ينضح بالإيمان ويزهر بالبِرّ والعدل! ليؤهلنا إلهُ الكل إلى مثل هذا البِرّ والعدل بنعمة ربنا يسوع المسيح ومحبته للبشر الذي يليق له المجد والقدرة إلى دهر الداهرين آمين.

القديس يوحنا الذهبي الفم